

ترامب قالَ كَلِمَاتَهُ الــهائِيّة: سَدَّدْعُمُ الــأميرِ بــن ســلــمــان حتــى لو كانَ عــلــى عــلــمٍ مــســبــقٍ باــغــتــيــالــ الخــاشــقــجــي.. هــل كانَ هــذــا المــوــقــف مــفــاجــئــا؟



ولــمــاذا رــبــطــ في مــؤــتــمــرــه الصــحــافــيــ؟ بين المــصــالــحــ الــأــمــرــيــكــيــة وــالــإــســرــائــيلــيــة وــبــقاء وــليــ العــاهــدــ الســعــودــيــ؟ وكــيــفــ ستــكــونــ "طــبــيــعــةــ" الــمــوــاجــهــةــ الــوــشــيــكــةــ الــتــيــ أــشــعــلــ فــتــيــلــهــاــ معــ الــكــوــنــغــرــســ وــنــتــائــجــهــاــ؟

عبد الباري عطوان

لم يــكــنــ مــفــاجــئــاــ بــالــذــســبــةــ إــلــيــنــاــ أــنــ يــكــونــ "الــمــوــقــفــ الــهــائــيــ"ــ لــلــرــئــيــســ الــأــمــرــيــكــيــ دــوــنــالــدــ تــرــامــبــ تــعــجــاهــ جــرــيــمــةــ اــغــتــيــالــ الصــحــافــيــ الســعــودــيــ جــمــالــ خــاـشــقــجــيــ وــتــقــطــيــعــ جــثــماــنــهــ "مــرــاوــغــاــ"ــ وــ"ــصــادــمــاــ"ــ، خــاصــمــةــ لــكــلــ الــذــينــ طــالــبــوــهــ بــتــحــمــيــلــ الــأــمــيرــ مــحــمــدــ بــنــ ســلــمــانــ، وــليــ العــاهــدــ الســعــودــيــ"ــ، الــمــســؤــولــيــةــ الــمــطــلــاقــةــ، وــفــرــضــ عــقــوبــاتــ عــلــ الــمــمــلــكــةــ.

فــمــنــذــ الــلــاحــظــةــ الــأــولــىــ كــانــ الرــئــيــســ تــرــامــبــ يــحــاـوــلــ كــاســبــ الــوقــتــ، وــالــتــهــرــبــ مــنــ اــتــخــاذــ أــيــ قــرــارــ حــاســمــ فــيــ هــذــهــ الــمــســأــلــةــ، فــقــدــ رــفــضــ الــاســتــمــاعــ إــلــىــ التــســجــيــلــاتــ الــمــرــعــيــةــ الــتــيــ حــمــلــتــهاــ إــلــيــهــ جــيــنــاــ هــاـســيــلــ، رــئــيــســ الــمــخــابــراتــ الــأــمــرــيــكــيــةــ، أــوــ الــقــبــولــ بــالــذــنــائــجــ الــهــائــيــ الــتــيــ تــوــصــمــلــتــ إــلــيــهــ وــكــالــةــ الــســيــ آــيــ إــيــهــ، الــتــيــ تــؤــكــدــ مــســؤــولــيــةــ الــأــمــيرــ بــنــ ســلــمــانــ عــنــ الــجــرــيــمــ، وــاــســتــمــرــ فــيــ تــوــفــيرــ مــطــلــقــةــ الــحــمــاــيــةــ لــوليــ العــاهــدــ الســعــودــيــ"ــ وــالــدــرــفــاعــ عــنــهــ، وــمــحــاــوــلــةــ تــبــرــئــتــهــ، تــحــتــ عــنــوــانــ الــحــفــاظــ عــلــ الــعــلــاقــاتــ الــمــتــمــيــزــةــ بــيــنــ الــرــيــاضــ وــوــاــشــنــطــنــ، وــعــدــمــ الســمــاــحــ لــجــرــيــمــةــ اــغــتــيــالــ الــخــاـشــقــجــيــ بــإــخــرــاجــهــاــ عــنــ مــســارــهــاــ.

الرئيس ترامب اعترف في مؤتمره الصّحافيّ الذي عقده اليوم الثلاثاء "بأنّ" الأمير بن سلمان كان على علمٍ مُسَبِّقاً بقتل الخاشقجي لكنّه أكّد عزمه على مُواصلة الشّراكة مع المملكة لحماية مصالح بلاده وإسرائيل".

ماذا تَعْنِي هَذِهِ الْعِبَارَةُ، وَهِي "حِمَايَةُ مَصَالِحِ إِسْرَائِيل" الَّتِي كَانَتْ أَهْمَّ مَا وَرَدَ فِي مُؤْتَمِرِهِ الصّحافِيِّ الْمَذْكُورِ فِي رأِينَا، غَيْرَ أَنَّ الْأَمِيرَ بْنَ سَلَمَانَ رُبَّمَا عَقَدَ صَفْقَةً مَعَ الرَّئِيسِ تَرَامَبَ وَصَهْرِهِ جَارِيدِ كُوشِنِر لِتَقْدِيمِ تَنَازُلَاتٍ كَثِيرَاتٍ فِي الْمَلَفِ الْفَلَسْطِينِيِّ، قَدْ يَكُونُ عُنْوَانَهَا الْأَبْرَزُ تَأْيِيدُ "صَفْقَةِ الْقَرْنِ" الَّتِي وَضَعَ أَفْكَارَهَا الْجَوَهِرِيَّةُ صَدِيقُهُ كُوشِنِر بِتَوْجِيهِاتٍ مِنْ بِنْيَامِين نَتَنِيَاوُهُ مُقَابِلًا دُعمِ الْجَانِبَيْنِ الْأَمْرِيْكِيِّ وَالْإِسْرَائِيلِيِّ، وَاللَّوْبِيَّاتِ السَّيَاسِيَّةِ وَالْإِلْعَامِيَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ تَحْتَ لَوَائِهِمَا، وَصُولِهِ إِلَى عَرْشِ الْمُلْكَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْسَّعُودِيَّةِ خَلَفًا لِوالِدِهِ الْمُلْكِ سَلَمَانَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، الَّذِي بَنَى قَصْرًا فَخُمْمًا لَهُ فِي مِنْطَقَةِ "نَيْوُم" شَمَالَ الْمَمْلَكَةِ لِيَقْضِي فِيهِ آخِرَ أَيَّامِهِ، حَيْثُ تُؤَكِّدُ مُعْظَمُ التَّقَارِيرِ الإِخْبَارِيَّةِ اسْتِفْحَالَ حَالِهِ الْمَرْضِيَّةِ.

فُلِّنَاها وَرُكِّرِرَهَا أَنَّ الرَّئِيسَ تَرَامَبَ لَا يُفَكِّرُ إِلَّا فِي الصَّفَقَاتِ، سَوَاءَ صَفَقَاتِ شَرِكَاتِهِ، وَشَرِكَاتِ صَهْرِهِ، أَوْ صَفَقَاتِ الْأَسْلَحةِ الَّتِي تَبْلُغُ قِيمَةَ آخِرِهَا 110 مِلِيَارَ دُولَارٍ، وَلَمْ يُخْفِ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ عِنْدَمَا قَالَ فِي المُؤْتَمِرِ الصّحافِيِّ نَفْسَهُ "أَنَّ إِلغَاءَ أَمْرِيْكَا لِلْعُقُودِ الدِّفاعِيَّةِ مَعَ السَّعُودِيَّةِ سَيُفِيدُ رُوسِيَا وَالصَّينَ".

لَا زَعَدَ قَدَ أَيْمَ مَلِكِ سُعُودِيِّ، سَوَاءَ كَانَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَانَ، أَوْ عَمُّهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، الَّذِي يَتَرَدَّدُ اسْمُهُ بِقُوَّةِ كُمُرْشَّحٍ لِلْأُسْرَةِ الْحاكِمَةِ لِخِلَافَةِ أَخِيهِ الْمُلْكِ سَلَمَانَ، سَيَجْرُؤُ عَلَى تَحَادِي الْوِلَيَّاتِ الْمُتَّحِدةِ وَإِلغَاءِ صَفَقَاتِ أَسْلَحةِ مَعْهَا، وَالذِّهَابُ إِلَى الْصِّينِ أَوْ رُوسِيَا، لَأَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْخُطُوطِ سَتَعْذِي زَوْلَهَا، أَيْ الْأُسْرَةِ الْحاكِمَةِ، أَلَّا مَيَقُولُ الرَّئِيسُ تَرَامَبُ وَرُكِّرِرَ أَكْثَرُ مِنْ مَرَّةٍ أَنَّ حُكُمَّامَ دُوَلِ الْخَلِيجِ لَنْ يَبْقُوا أُسْبُوعَيْنَ فِي عُرُوشِهِمْ بِدُونِ الْحِمَايَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ؟ وَيُشَدَّدُ عَلَى أَنَّ السَّعُودِيَّةَ بِالذِّهَابِ لَنْ تَصْمِدْ دَقَائِقَ فِي مُواجهَةِ أَيِّ هُجُومٍ إِيْرَانِيِّ؟

الرَّئِيسُ تَرَامَبُ مُصَمَّمٌ، وَبِتَحْرِيصِ مِنْ صَهْرِهِ كُوشِنِر وَنَتَنِيَاوُهُ عَلَى السَّيْرِ عَلَى النَّزَهَةِ نَفْسِهِ فِيمَا يَتَعلَّقُ بِالشّرَاكةِ مَعَ السَّعُودِيَّةِ، وَحِمَايَةِ الْأَمِيرِ بْنِ سَلَمَانَ، حَتَّى لَوْ أَدَى هَذَا الْأَمْرُ إِلَى الصَّدَامِ مَعَ الْكُونْغُرسِ الْأَمْرِيكِيِّ بِشَقِّيهِ الْجُمْهُوريِّ وَالْدِيمُقْرَاطِيِّ، وَشَدَّدَ عَلَى ذَلِكَ صَرَاحةً عِنْدَمَا قَالَ "أَنَّ الْكُونْغُرسِ الْأَمْرِيكِيِّ "حُرُّ" فِي الذِّهَابِ فِي اتِّجَاهٍ مُخْتَلِفٍ بِشَأنِ السَّعُودِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ (أَيْ تَرَامَبُ) سَيَدْرُسُ فَقْطَ الْأَفْكَارَ الَّتِي تَنْسَقُ مَعَ الْأَمْنِ الْأَمْرِيكِيِّ".

أمريكا، وباختصارٍ شَدِيدٍ، تَقْرِفُ على حَافَّةِ مُواجَهَةِ شَرِسَّةٍ بين الكونغرس والرئيس ترامب، رُبّما يَمْتَدُّ عَلَيْهَا في الأيّام القليلة القادمة، خاصّةً في ظِلِّ التَّحَالُفِ الْفَوَّاِيِّ بين المُشرّعين والمُحَافِظِينِ الأُمْرِيكِيِّينَ بشَقِّيهَا الْوَرْقِيِّ أو الْمَرْئِيِّ، وخاصّةً صَحِيفَتِيِّ "الْوَاشِنْطَنْ بُوُسْتْ" ومُنافِسَتِها "النيويورك تايمز".

مِن الصّعب علينا إصدار أحكام مُسْبَقة حول طَبَيعَةِ هَذِهِ المَعْرَكَةِ والفالِئِزِ فيها في ذِهَايَةِ الْمَطَافِ، فَمَا زَالَتِ الأُمورُ فِي بِرْدَائِهَا، ولَكِن بالقياسِ إِلَى مَعَارِكِ سَابِقَاتِهِ مُمَاثِلَةً لا نَعْتَقِدُ أَنَّ الرَّئِيسَ الْأُمْرِيكِيَّ قد يَخْرُجُ رَابِحًا، وَلَا نَسْتَغْرِبُ أَنَّ يَكُونَ مَصِيرُهِ مِثْلُ مَصِيرِ سَالَفِهِ رِيَتْشَارْدِ نِيكِسُونَ، فَنَحْنُ أَمَامَ "فَضْيَحةٍ" جَدِيدةٍ اسْمُهَا "خَاشِقِيِّ غِيَثٍ" بَاتَتْ مِثْلُ كُرَّةِ الثَّلَاجِ تَكُوُنُ وَتَكُوُنُ مَعَ مُرْورِ الْوَقْتِ، وَتَرْفُّهُ الاختِفَاءِ مِنَ الْعَنَاوِينِ الإِخْبَارِيَّةِ الرَّئِيْسِيَّةِ. كَثِيرٌ مِنَ الْزُّعَمَاءِ فَقَدُوا عُرُوشَهُم بِسَبِيلِ أَبْنَائِهِمْ أَوْ أَصْهَارِهِمْ، خاصّةً فِي مِنْطَقَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ، وَلَا نَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُونَ الرَّئِيسُ تِرَامَبُ الَّذِي تَجْمَعَ عَلَيْهِ مَعَ زُعَمَاءِ عَرَبِ الْكَثِيرِ مِنَ الْقَوَاسِمِ الْمُشَتَّرَكَةِ، وَأَبْرَزَهَا تَقْدِيمُ الصَّفَقَاتِ عَلَى الْمَبَادِئِ وَقِيَامُ دُوقُوقِ الإِنْسَانِ.. فَتَتَّسِعُّ عَنِ الصَّهْرِ كُوشِنِر.. وَالْأَيّامُ بَيْنَذَنَّا.